الفنون الفاطمية

د منى عثمان الغُباشي

الفرقة الثانية شعبة الآثار الإسلامية قسم الآثار

فن صناعة وزخرفة المعادن

ازدهرت صناعة وزخرفة المعادن في العصر الفاطمي ، وقد أشاد بعض المؤرخين بكنوز ونفائس الفاطميين، ومنهم ابن ميسر في كتابه أخبار مصر، ورشيد الدين في كتابه (الذخائر والتُحف) والمقريزي في خططه إذ يذكر المقريزي نقلاً عن رشيد الدين أن خزائن سلاح الخليفة الفاطمي العزيز بالله كانت تضم العديد من أنواع الأسلحة منها سيف خاص مرصعًا بالأحجار الكريمة له غمد مُزخرف برسوم مذهبة يُحفظ في خزائن الجوهر والطيب يحمله أعظم الأمراء رتبة عند ركوب الخليفة في المواكب. كما يذكر المقريزي في وصفه لكنوز الفاطميين الصناديق التي كانت مملوءة بمرايا مكفتة بالفضة والذهب أو مرصعة بالأحجار الكريمة وكانت توضع داخل جراب من الجلد أو الحرير النفيس.

ويذكر المؤرخون أيضًا عن نفائس الفاطميين ما وجد في خزائنهم من قطع الشطرنج المصنوعة من الذهب والفضة وذكر عن ما أخذ من قصر الخليفة الفاطمي العزيز من الصناديق التي بلغ عددها أربعمائة صندوق مملؤ بالأواني الفضية الثمينة المكفتة بالذهب التي صهرت ووزعت على الثوار بالإضافة إلى الأواني النحاسية والبرونزية المكفتة بالذهب والفضة والمزخرفة بالمينا المتعددة الألوان .

وقد تغنى المؤرخون بالنفائس الجميلة التي كانت بالقصر الفاطمي الكبير الخليفة المعز لدين الله التي كانت تتألف من تماثيل بأشكال حيوانات وطيور منها تمثال لطاووس من الذهب رصعت عيناه بالياقوت الأحمر وريشة من الزُجاج المزخرف بالمينا المتعددة الألوان، ومنها أيضًا ديك من الذهب ذو عرف طويل من الياقوت الأحمر ومرصع بالأحجار الكريمة ومنها غزال من الذهب المرصع بالجواهر.

غير أنه للأسف لم يصلنا من هذه التُحف سوى أمثلة قليلة وربما يعزي ذلك إلى أن الأواني المعدنية كانت تصهر غالبًا في العصور التالية ويعاد تشكيلها بأشكال جديدة ، كما كانت تصهر إلى عملات في وقت الشدائد.

وعلى الرغم من قلة التُحف المعدنية الفاطمية التي وصلتنا إلا أنها تميزت بتنوع أشكالها من تماثيل برونزية، أهوان، شماعد، مباخر، صحون وأدوات مختلفة الأشكال بعضها على هيئة طائر أو حيوان ، وهي تشبه إلى حد كبير الأواني التي كانت مُنتشرة في إيران وبلاد ما وراء النهر في

العصر الساساني وفي فجر الإسلام منها فوارات مائية وأدوات لحمل الماء كانت تشكل بهيئة حيوان أو طائر وكانت تسمى في العصور الوسطى باسم أكوامانيل .

طرق الصناعة والزخرفة :-

تنوعت طرق صناعة التُحف المعدنية في العصر الفاطمي وزخرفتها، استخدم الصناع طريقتين في الصناعة هما:

الطرق : كانت هذه الطريقة تستخدم لمعدن النحاس لأنه معدن لين يستجيب للتشكيل وكان يتم بوضع ألواح أو رقائق النحاس على السندال الذي يتألف من عمود حديدي ينتهي برأس من الصلب ليتحمل الطرق عليه حيث توضع عليه الرقائق النحاسية ويطرق عليها بمطرقة صغيرة لإعطائها الشكل المطلوب وبعد الانتهاء من تشكيلها تنظف مما علق بها من شوائب وتنعم وتصبح معدة لاستقبال الزخارف المختلفة عليها.

الصب في القالب: يستخدم في هذه الطريقة معدن البرونز لسهولة صهره وتشكيله في القالب وكانت تعد القوالب من الحجر الصابوني الصلب وتتألف من نصفين متطابقين يحفر بداخلها الشكل المطلوب تنفيذه، ويغلق نصفي القالب بحيث ينطبق كل نصف منهما على الآخر تمام الانطباق. ويزود القالب بثقب نافذ بقناة لصب المعدني المصهور منه إلى داخل القالب فيأخذ الشكل المحفور داخل القالب. وبذلك يتم الحصول على شكل الأواني المركبة التي تتخذ هيئة حيوان أو طائر. كما يستخدم معدن الذهب في هذه الطريقة أيضًا مع البرونز (النحاس الأحمر+ القصدير).

الطرق الزخرفية:تنوعت الأساليب الزخرفية المستخدمة لزخرفة التُحف المعدنية وهي:

١- الحز: هو إجراء حزوز أو خطوط رفيعة قليلة الغور على بدن الآنية بعد تشكيلها وفقاً لرسم معين يعده الصانع قبل تنفيذه ثم يقوم بنقله على سطح الآنية تمهيدا لحزه بآله حادة صغيرة مدببة يطرق الصانع عليها طرقاً حقيقيا ليحدث الحزوز المطلوبة.

٢- الحفر: يختلف عن الحز في أنه أعمق ويحقق مساحات أكبر على عكس الحز الذي يكون بشكل خطوط رفيعة قليلة الغور. وكان الصانع ينفذ زخارفه المطلوبة على الآنية بعد تشكيلها بأداة مدببة يطرق عليها لإحداث الزخارف غائرة أو بارزة. وكان الصانع يثبت رسومه أو ينزلها على التُحفة بواسطة بودرة ملونة حتى تظهر الزخارف على سطح المعدن، وقد يقوم الصانع بتنفيذ الزخارف دون الإعداد لها إذا كانت بسيطة ويكون الصانع متمرناً عليها. وكان إذا أراد

عمل زخارف بارزة فعلية أن يفرغ المساحات المحيطة بالرسوم لإبرازها أما إذا أرادها غائرة فعليه أن يفرغ رسومه ويترك ما حولها حتى تبدو غائرة .

٣- التكفيت : التكفيت هو كلمة فارسية بمعنى دق ، وتعني زخرفة المعدن الأصلي بمعدن آخر أقيم منه ومختلف عنه في اللون. وكانت معروفة في العصر الفرعوني وعرفت في العصر الساساني ، وتتم بحفر الرسوم على سطح الآنية ثم يملئ هذه الزخارف المحفورة بمعدن آخر كالفضة والذهب أو النحاس الأحمر وأطلق عليها الانجليز Inlaying وأطلق عليها الفرنسيون Inctustation ، وكانت عملية التكفيت تتم بطريقتين هما:

الطريقة الأولى : تتم برسم الزخارف المطلوبة على التُحفة بعد إعدادها سابقاً على نموذج شفاف ويثقبها ثم يثبتها على سطح الآنية ببودرة ملونة ثم يقوم بحفر هذه الزخارف باستخدام الأداة المدببة بالطرق عليها ثم ينزل رقائق المعدن الثمين داخل هذه الأماكن المحفورة الغائرة باستخدام أداة مثلثة المقطع ثم يطرق على حافة المعدن الأصلي حتى يمتد طرفها على الجزء المنزل داخل الفجوات لتثبيتها.
الطريقة الثانية : تشبه الطريقة الأولى إلا أنها تختلف عنها في أن الصانع بعد أن يقوم بتلبيس الأماكن الغائرة بالذهب والفضة بعمل حزوز وتفاصيل في المعدن الثمين بشوكة مدببة ثم تملأ هذه التفاصيل المحزوزة بعد ذلك بمادة النيلو السوداء التي تتكون من صهر نسب معينة من النحاس،الرصاص، الكبريت وملح النشادر .

على الرغم من أن بعض المستشرقين أمثال "J.Orbeli" ذهبوا إلى القول بأن طريقة التكفيت كانت معروفة في العصر الساساني ثم استمرت بعد ذلك فوجدت في فجر الإسلام غير أن أغلب الظن أن استخدام طريقة تكفيت المعادن أملته تعاليم العقيدة الإسلامية وذلك لكراهية استخدام الأواني الذهبية والفضية طبقاً لما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة للابتعاد عن مظاهر البذخ والترف لذلك لجأ الفنان المسلم إلى ابتكار هذه الطريقة في الزخرفة للاستعاضة عن الأواني الذهبية والفضية.

ومن الملاحظ أنه لم تصلنا تحف معدنية مكفتة إسلامية تحمل تاريخ صناعتها قبل القرن ٦هـ/١٢ م وإن أقدم أمثلتها مقلمة من النحاس الأصفر المكفت بالنحاس الأحمر محفوظة بمُتحف الارميتاج بلننجراد بروسيا مؤرخة بسنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م قوام زخرفتها كتابات عربية وفارسية تتضمن اسم صانعها وهو (عمر بن الفضل) .

٤-الزخرفة بالمينا : هي من أهم الطرق التي شاع استخدامها في العصر الفاطمي، والمينا هي مادة زجاجية مسحوقة تستخدم في زخرفة الأواني المعدنية أو الزُجاجية أو الخزفية . وتتألف من سليكات البوتاسيوم مع أكسيد الرصاص ليعطيها خاصية تحمل درجات الحرارة المختلفة ويضاف إليها أكاسيد ملونة لذا تختلف ألوان المينا باختلاف هذه الأكاسيد، فإضافة أكسيد الحديد يعطي اللون الأحمر وإضافة الكوبلت يعطي اللون الأزرق.وتتم الزخرفة بالمينا على التُحف المعدنية بطريقتين :

الأولى : الترصيع (Émail Closinné) : كان الصانع يقوم بصهر المينا وصبها داخل قوالب أو داخل حواجز مشكلة بهيئة حيوان أو طائر أو زخرفة نباتية أو في فصوص معدنية ذات حافة بارزة على سطح التُحفة ثم تعرض للنار لتثبيت المينا عليها وتزجيجها.

الطريقة الثانية : تشبه هذه الطريقة التكفيت حيث يقوم الصانع بحفر الزخارف المراد تنفيذها على سطح الآنية ثم يصب المينا المصهورة داخل هذه المناطق المحفورة بدلاً من الذهب والفضة وعرفت الطريقة باسم (Émail Champlélé).

النماذج :

التماثيل : وقد وصلنا مجموعة من التماثيل البرونزية الفاطمية ذات أشكال آدمية وحيوانية وطيور ترجع إلى القرن ٥هـ/١١م ومحفوظة بمُتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ونُفذت بطريقة الصب في القالب منها :- تمثال على شكل أرنب وظبي وأسد وأيل.

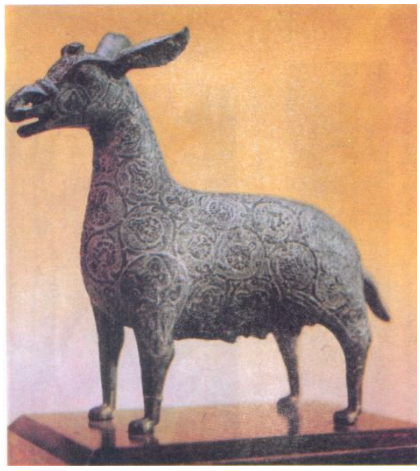

– تمثال من البرونز لسيدة بيدها دف تضرب عليه كعازفة، نفذ عن طريق الصب في القالب من مصر أو العراق في فجر الإسلام أي من القرون الثلاثة الأولى من الهجرة.

الشماعد :

–شمعدان من البرونز من مصر من القرون الثلاثة الأولى بُمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة يتكون من قاعدة أشبه بقبيبة ذات حافة بارزة ترتكز على ثلاثة أرجل يعلوها البدن من قائم أسطواني (عمود أسطواني) محصور بين رمانتين.

– شمعدان بروزني فاطمي من القرن ٦هـ/١٢م بُمتحف الفن الإسلامي ويتكون من قاعدة ذات ثلاثة أرجل تحمل البدن وهو عمود سداسي محصور ين رمانتين وينتهي بقرص ُستدير الذي ربما كان مخصصًا لوضع شمعة أو مسرجة أو لوضع أدوات الزينة، ويسجل عليه اسم صانعه وهو "محمد بن المكي".

ويعكس هذان الشمعدانان أشكال الشماعد في مصر منذ فجر الإسلام وفي العصر الفاطمي من حيث التكوين العام كقاعدةُ ستديرة مقببة تحمل البدن المحصور بين رمانتين يحمل القرص ُلمستدير وهو بيت الشمعة وتميز الشمعدان في فجر الإسلام بمصر بأن بدنه عمود أسطواني

طويل بينما أصبح في العصر الفاطمي عمود سداسي الشكل قصير وأصبح هذا الشكل المميز للشمعدان الفاطمي.

الصواني والصحون :

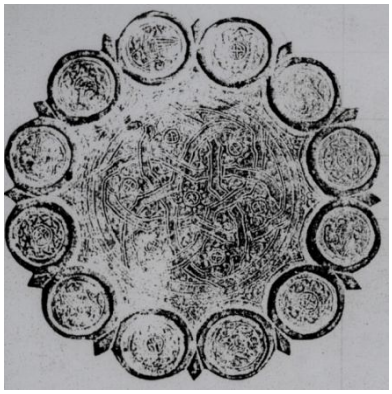

يحتفظ متحف برلين بمثلين منهما بزخارف حيوانية محزوزة ومحفورة على أرضية نباتية وتشبه في زخارفها إلى حد كبير الأواني الخزفية المحزوزة تحت الدهان ذات اللون الواحد التي انتشرت في العصر الفاطمي، ومن أمثلتها صينية من البرونز يزخرفها من المنتصف زخرفة هندسية عبارة شكل نجمي متداخل من ست فصوص يتوسطها نجمة سداسية يتخللها ويتخلل الفصوص الست دائرة صغيرة ذات خطين متقاطعين وحولها الزخارف النباتية من أفرع ورويقات، وحافة أو إطار الصينية عبارة عن أثنى عشر دائرة قوام زخرفتها دائرة صغيرة على غرار الدوائر بوسط الصينية وتحاط بإطار من زخرفة مضفورة أو أشكال مثلثات صغيرة.

المباخر والأواني :

– مبخرة تتألف من شكل مقبب تغطي مجمرة أسطوانية الشكل ترتكز على أربعة أرجل تشبه أرجل الحيوانات ولها مقبض طويل وتُزخرف المبخرة بزخارف نباتية مفرغة وتُتوج القبة بشكل زهرة متفتحة الأورق من مصر من العصر الأموي.

– آنية من النحاس على شكل طاووس يتصل به مقبض ينتهي برأس نسر، وهو من نوع الأواني المخصصة لحفظ المياه والسوائل التي عرفت لدى الأوربيين باسم أكوامانيل وهي تحمل كتابات لاتينية وعربية نصها باللاتينية "عمل سليمان" وهذه العبارة شاع نقشها في العصور الوسطى على الأواني والتُحف المتميزة وذلك لأن (سيدنا سليمان عليه السلام) عرف عنه أنه مثال للحكمة كما نقش عليها اسم صانعها وهو "عمل عبد الملك النصراني" وترجع هذه الآنية إلى القرن ٥هـ/١١م.

وتعكس هذه الآنية اشتراك كل من المسلمين والمسيحيينفي العمل بصناعة وزخرفة التُحف المعدنية وإنتاج كل التُحف المعدنية للمسلمين وللمسيحيين على حد سواء. وهي بذلك تلقي الضوء على فناني التُحف المعدنية أو طائفة الحرفيين وأنهم كانوا نسيج واحد يمثل طبيعة الشعب المصري بشقيه المسلم والمسيحي.

كما ألقى الشمعدان الذي صنعه محمد بن المكي الضوء على أصل بعض الحرفيين حيث يدل توقيعه أنه في الأصل من مكة المكرمة.

– إبريق من النحاس ذو بدن أُسطواني ُضلع يستدق من الوسط ويُغطى بغطاء مقبي يتوسطه رقبة تأخذ شكل البدن ولكنها تتميز بوجود إطار بارز يُمتصفها، ويخرج البزبوز من قمة البدن ُستدًا لأعلى وهو أسطواني يستدق من أعلى، أما المقبض فيمتد من قمة البدن إلى أعلى ثم ينحني ليتصل بفوهه الإبريق.

الُحلي : وصلنا مجموعة من الحلي الفاطمي تتمثل في حليات،أقراط ، خواتم وأسوار مثل:

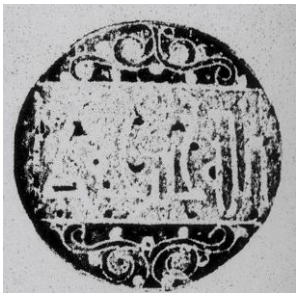

– قرص من الذهب مزخرف بالمينا المتعددة الألوان بطريقة (Émail Champlélé) يُمتحف الفن الإسلامي قوام زخرفته شريط من الكتابة الكوفية نصها الله خير حـ (١) فظ.

– حلية من الفضة المرصعة بالمينا من العصر الفاطمي القرن ٥-٦/١١-١٢م يُمتحف الفن الإسلامي: هي من أجمل الأمثلة على الترصيع بالمينا، وهي على شكل هلال من الفضة المذهبة (الفضة المطلية بالذهب) ومزخرفة من الوجهين برسوم هندسية بارزة بالحفر ويتوسطها دائرة بداخلها طائر يتدلى من منقاره ورقة نباتية وذلك بالمينا المتعددة الألوان، كما أن الطائر حدد بإطار معدني رفيع مملؤ بالمينا المنفذة بالترصيع.

– أقراط من الذهب المزخرف بالمينا وأخرى بزخارف مفرغة من القرن ٥-٦/١١-١٢م بُمتحف الفن الإسلامي.

– خاتمان من العصر الفاطمي القرن ٥/١١م بُمتحف الفن الإسلامي

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

١- شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي

٢- إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف

٣- إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف

٤- البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف